فلم ير إلا حمامتين وحشيشتين بفم الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا
له ما لك قال رأيت حمامتين وحشيشتين فعرفت أنه ليس فيه
أحد وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم
في الغار إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد وفي مسند البزار
أن الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ولذا قال
الناظم وكفته بنسجها عنكبوت يقع على الواحد والجمع
والذكر والأنثى ما أي الأمر الذي كفته إياهم الحمامة
الحصداء أخذ من قولهم شجرة حصداء أي كثيرة الورق فاستعار
للحمامة لكثرة ريشها ووصف الحمامة بورقاء وحصداء
لاجتماعهما فيها والممتنع إنما هو الوصف بمتضادين أو متما
ثلين وروي أن الحمامتين باضتا في أسفل النقب ونسج العنكبوت
على أعلاه فقالوا لو دخلا لتكسر البيض وتفتح نسج العنكبوت
قال الأبيّة وهذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود
وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعم أبصارهم فعميت
عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار لظنهم
أن الحمام لا يحوم حوله وأن العنكبوت لا ينسج عليه وفيه أحد
لما جرت العادة أنهما متوحشان من محل الحس بالإنسان عن أمنه
وما علموا أن الله يسخر ما شاء من خلقه لمن شاء من عباده وأن
وقاية الله عبده بما أراده تغنيه عن التحصن بالأمكنة والأسلحة

وكفته بنسجها عنكبوت
ما كفته الحمامة الحصداء

وصح

وصح أن أبا بكر الصديق قال يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه
لرآنا فقال ما ظنك باثنين الله ثالثهما ولذا قال الناظم واختفا
صلى الله عليه وسلم أي استتر لا أحسن عطفه على أو الغار منهم
على أي مع قرب مرأى أي محل رؤيته وفي ذكر الناظم لهذا تعجيب
للسامع وبيان لهذه المعجزة العظيمة وحكمة استتاره منهم
مع ظهوره لهم لو نظر أحدهم اليوم تحت قدميه كما تقرر أن
من جملة شدة الظهور عليهم بالغلبة والمعونة الإلهية
له الخفاء عنهم الذي حصل له خرقا للعادة ظفرا عليهم وخيبة
لهم واستعمال الظهور فيما ذكر مع أن مقابلته بالخفا
توهم أنه أراد به ضده من البديع المسمى بالتورية والإيهام وهو
أن يذكر لفظ له معنيان بالاشتراك أو التواطي أو الحقيقة والمجاز
أحدهما بعيد فيقصد ويورى عنه بالقريب فيتوهم السامع
من أول وهلة وهو هنا ضد الخفا الموهم له قوله واختفا قال
الزمخشري لا ترى بابا أدق ولا ألطف من التورية ولا أنفع ولا أعون
على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله ورسوله نحو الرحمن
على العرش استوى أريد من الاستوا معناه البعيد الذي هو الاستيلاء
دون القريب الذي هو الاستقرار في المكان لاستحالته على الله تعالى
انتهى ملخصا وهذه تسمى مجردة لأنه لم يذكر فيها شيء من لوازم
المورى به ولا المورى عنه والتي هنا ما ذكر فيه لازم كل منهما

واختفا منهم على قرب مرأى
ومن شدة الظهور الخفاء

Copyright © King Saud University